

(١)

السلام مع النفس والكون*

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فإن السلام قيمة إنسانية راقية، حرص ديننا الحنيف على ترسيخها، فديننا دين السلام، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) نبي السلام، وتحيتنا في الدنيا سلام، والجنة هي دار السلام، وتحية أهل الجنة في الجنة السلام، وتحية الملائكة لهم سلام، حيث يقول (عز وجل): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}، ويقول سبحانه: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ}، ويقول تعالى: {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}، ويقول (جل وعلا): {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقَبَى الدَّارِ}.

ولمكانة السلام وشرفه سمى ربنا (عز وجل) نفسه "السلام"، فقال سبحانه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، وكان من دعاء نبينا (صلى الله عليه وسلم) عقب كل صلاة: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

إن السلام في الإسلام سلام شامل، والمسلم الحقيقي متسامح مع نفسه، في سلام حقيقي مع أهله وذويه، وجيرانه، وأصدقائه، ومع الناس أجمعين، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)، ويقول (صلى الله عليه

* هذه الخطبة مأخوذة من عدة مقالات لمعالي أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف في هذا الموضوع.

(٢)

وسلم): (وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ، وعندما سُئِلَ (صلى الله عليه وسلم) عن امرأة صوامة قوامة إلا أنها تؤذي جيرانها، بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ).

على أننا نؤكد أن هذا السلام لا يتحقق إلا من خلال نفوس صافية تحكمتها ضوابط إيمانية وإنسانية راقية، من أهمها: أن يكون للإنسان وجه واحد ظاهره كباطنه، لا أن يكون من ذوي الوجهين الذين يلقي الواحد منهم هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهِينَ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءَ بِوَجْهِ وَهَؤُلَاءَ بِوَجْهِ).

ومنها: أن يكون الإنسان محباً للخير للناس أجمعين، رحيماً، ودوداً، سهلاً، هيناً، ليناً، يألف ويؤلف، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُجِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُجِبُّ لِنَفْسِهِ)، وأن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَعَالِيْقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَعَالِيْقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللّٰهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللّٰهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ).

ومنها: أن يؤمن كل إنسان بحق الآخر في الحياة الكريمة الآمنة المستقرة، فالله (عز وجل) خلق الناس مختلفين، حيث يقول تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}، وأن يؤمن أن هناك قواسم إنسانية مشتركة أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية، يؤدي الالتزام بها إلى أن تسود الطمأنينة والاستقرار والسلام النفسي والمجتمعي بين الجميع.

(٣)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن المسلم يعيش في سلام مع الكون كله، فلا يؤذي حيواناً، ولا يحرق نباتاً، ولا يتلف شجراً ولا ثمرًا، إنما هو بناء معطاء، يحب الخير لا الشر، والبناء لا الهدم، والتعمير لا التخريب ولا الإفساد في الأرض، وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يؤصل لهذا السلام الكوني، فهو بحق رحمة للعالمين، حيث يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، ويتجلى ذلك حين دخل (صلى الله عليه وسلم) بُسْتَانًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى الْجَمْلُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَسَحَ رَأْسَهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: (مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟)، فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (أَفَلَا تَتَّقِي اللهُ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَأَ إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ).

فما أجمل أن يعيش الإنسان في سلام مع نفسه، و سلام مع أسرته، و سلام مع عائلته، و سلام مع جيرانه، و سلام مع زملائه، و سلام مع أصدقائه، و سلام مع المجتمع، و سلام مع الكون كله.

اللهم اجعلنا من أهل السلام، وأدخلنا برحمتك الجنة دار السلام